قصة موسى –عليه السلام– وأثرها النفسي على الإنسان من خلال سورتي (طه، والشعراء) – دراسة موضوعية–

The story of Moses - peace be upon him - and its psychological impact on humans through the two surahs (Taha and Al-Shu'ara') Objective study

م.د. بشرى سعيد عبد المجيد الحديثي*

Teacher Dr. /BUSHRA SAEED ABDULMAJEED Al-HADEETHI
E.mail/ bushra.saeed٢٠٢١@gmail.com

الملخص:

يعنى هذا البحث ببيان الأثر النفسي لقصة موسى عليه السلام على الإنسان عن طريق سورتي طه والشعراء واللتين ذكرتا هذه القصة .

وقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين، الأول منهما جاء لتسليط الضوء على معنى النفس وحقيقتها في ضوء القرآن الكريم، ثم المبحث الثاني الذي خصصته لدراسة الحالة النفسية لسيدنا موسى عليه السلام في هاتين السورتين .

وتكمن أهمية البحث في معالجة حالة الاضطراب الشديد لدى الأفراد والمجتمعات، والقلق النفسي الذي يعيشه كثير من الناس في هذه الظروف الراهنة، ومعالجة حالة التركيز على الماديات، وإغفال الجانب الروحي.

ويهدف البحث هدفا رئيسا وهو بيان أثر القرآن الكريم في تحقيق الطمأنينة والقوة في النفس.

أما منهجية البحث فكانت باستخدام المنهج الوصفي الموضوعي.

أما أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج:

* دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية / قسم البحوث/ العراق .

أن كلام الله سبحانه وتعالى ووحيه فيه طمأنينة للقلوب، وهو هدى وشفاء ورحمة، وفيه قوة من كل ضعف، وأمان من كل خوف، ومما توصل اليه البحث أيضا: الثقة بالله سبحانه وتعالى، والتصديق بموعوده سبب للثبات مهما بلغت الشدة بالإنسان، ومنها أيضا: ثبات أصحاب المبادئ على مبادئهم وإن كانوا قلة بسبب اطمئنان قلوبهم إلى السند العظيم الذي يمدهم بهذه القوة وهو الله سبحانه وتعالى.

الكلمات المفتاحية: النفس، الحالة النفسية، الخوف، الطمأنينة، الاثر النفسي.

Abstract:

This research is concerned with explaining the psychological impact of the story of Moses, peace be upon him, on humans through Surat Taha and Al-Shu'ara, which mentioned this story.

The research included an introduction and two sections, the first of which came to shed light on the meaning of the soul and its reality in the light of the Holy Qur'an, then the second section was devoted to studying the psychological state of our Master Moses, peace be upon him, in these two surahs.

The research aims as a main goal, which is to explain the effect of the Holy Qur'an in achieving tranquility and strength in the soul.

The research methodology was using the objective descriptive approach.

The most prominent findings of the research are:

The words of God Almighty and His revelation contain reassurance for hearts, and are guidance, healing, and mercy, and they contain strength from every weakness, and safety from every fear. Among the research findings also: trust in God Almighty, and believing in His promises is a reason for steadfastness, no matter how difficult the person is, and also among them: steadfastness. Those who have principles stick to their principles, even if they are few, because their hearts are reassured by the great support that provides them with this strength, which is God Almighty. And come.

Keywords: Self. Psychological state. The fear. Reassurance. Psychological impact

المقدمة:

إنّ الحمدَ لله نَحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبدهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد...

فلا يخفى أن علم التفسير من أجل علوم الشريعة؛ إذ انه يتعلق بتفسير كلام الله تعالى الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, ولذلك فقد أولى علماء الامة عناية بهذا العلم الشريف وألفوا فيه المؤلفات الكثيرة , وهذا مما دفعني الى أن أضرب معهم بسهم ويكون لي نصيب من هذا الشرف فوقع اختياري على دراسة الأحوال النفسية وأثرها على الإنسان في ضوء ما يستلهم من القصص القرآني فاخترت ما ورد من قصة موسى–عليه السلام– في سورتي: (طه، والشعراء).

موضوع البحث : يتعرض البحث للتعريف بالنفس الإنسانية وأحوالها، وأثر القرآن الكريم في تحقيق السكنية والطمأنينة لها .

أسباب اختيار الموضوع :

١. نيل نصيب من شرف العمل بعلم التفسير.
٢. الوقوف على حقيقة النفس الإنسانية، وأنواعها، وأحوالها في القرآن الكريم.
٣. إبراز أثر القرآن الكريم في تغيير الحالة النفسية إلى حالة السكون والطمأنينة.

مشكلة البحث: معالجة حالة الخوف التي تعتري الانسان في مسيرة حياته من خلال المواقف التي يتعرض لها من ظلم الظالمين.

أهمية الموضوع :

١. الاضطراب الشديد لدى الأفراد والمجتمعات، والقلق النفسي الذي يعيشه كثير من الناس في هذه الظروف الراهنة، كل ذلك أصبح بحاجة ماسّة إلى معالجته ومن خلال القرآن الكريم من خلال القصص القرآني.

٢.التركيز على الماديات، وإغفال الجانب الروحي أثار ضرورة الاهتمام بالجانب الروحي، وهذا ما يحاول البحث تحقيقه إن شاء الله تعالى .

أهداف البحث :

يهدف البحث هدفاً رئيسياً وهو بيان أثر القرآن الكريم في تحقيق الطمأنينة والقوة في النفس، كما ويهدف إلى أهداف فرعية أخرى وهي:

١. التعريف بالنفس.
٢. ذكر أنواع النفس في القرآن الكريم.
٣. بيان خصائص النفس في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسات سابقة بهذا الخصوص.

منهج البحث : اقتضت طبيعة الموضوع استخدام المنهج الوصفي الموضوعي.

خطة البحث: تتكون خطة البحث من ملخص ومقدمة ومبحثين، وخاتمة بأهم النتائج ، وقائمة بالمصادر.

المبحث الأول: مدخل إلى النفس في ضوء القرآن الكريم

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النفس لغة واصطلاحاً

التعريف اللغوي لكلمة نفس: النون، والفاء، والسين: أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه من التنفس، وسميت نفساً لتولد النفس منها واتصاله بها، وقد ورد في كتب اللغة العديد من التعريفات للنفس منها: (العين، الدم، الجسد نفس الشيء: عينه وذاته، الروح، العِنْدُ، العقل، العظمة، الكبر، العزة، الهمة، الأنفة، الإرادة، الإنسان جملة روحاً وجسداً، القوة والجلد، الغيب، العقوبة، الحقيقة، الأخ، القرب)[1]

تعريف النفس الإنسانية في اصطلاح العلماء: اختلف العلماء والفلاسفة والمتكلمون في تعريف النفس اختلافاً كبيراً، وقد ذكر ابن القيم هذه الأقوال وناقشها في المسألة التاسعة عشرة من كتاب الروح ثم رجح "آنها جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدّهن في

(١) ينظر: تهذيب اللغة، (٨/١٣)، ومقاييس اللغة، (٤٦٠/٥)، ولسان العرب، (٢٣٣/٦)، باب السين فصل النون، مادة (نفس)، والقاموس المحيط، ص(٥٧٧)، وتاج العروس، (٥٥٩/١٦-٥٧٣).

الزيتون، والنار في الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الاعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الاعضاء بسب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الرّوح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح" .(١)

ثم قال ابن القيم بعده: " وهذا القول هو الصواب في المسألة الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسّنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة "، ثم ذكر الأدلة.(٢)

وتعريفها عند المعاصرين:

ذكر العلماء المعاصرين للنفس عدة تعريفات؛ منها: أن النفس هي جوهر الإنسان ومحرك أوجه نشاطه المختلفة، إدراكية، أو حركية، أو فكرية، أو انفعالية، أو أخلاقية، سواء أكان ذلك على مستوى الواقع، أو على مستوى الفهم، والنفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلهما وتبادلهما المستمر والتأثر، مكونين معاً وحدة متميزة نطلق عليها لفظ: (شخصية) تُميز الفرد عن غيره من الناس، وتؤدي به إلى توافقه الخاص في حياته. (٣)

المطلب الثاني: أنواع النفس في القرآن الكريم.

ذكر القرآن الكريم النفس في أكثر من موضع، وفى كل موضع جاء ذكرها موصوفة بوصف مختلف، ومن خلال الآتي سأستعرض تلك الأنواع انطلاقاً من تلك الآيات الكريمة، وكلام المفسرين عنها، سعياً في بيان كل نوع منها .

النوع الأول : النفس الأمارة بالسوء:

وهي النفس التي تأمر الإنسان بفعل السيئات والتي أخبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ **[يوسف :٥٣]**، فهي تأمر صاحبها بفعل كل رذيلة تسيطر عليها الدوافع الغريزية، وتتمثل فيها الصفات الحيوانية، وتبرز فيها الدوافع الشريرة، فهي توجه صاحبها فيما تهواه من شهوات. (٤)

---

(١) الروح ، لابن القيم، ص (١٧٨، ١٧٩).

(٢) ينظر: الروح، لابن القيم، ص (١٧٩ – ١٨٢) .

(٣) ينظر: الموسوعة الاسلامية العامة، ص (١٤٠٩ – ١٤١١).

(٤) ينظر: علم النفس الاسلامي، ص (١٨) .

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري: "إنّ النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله ".[١]

وقال القرطبي في معنى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ **[يوسف: ٥٣]** ، "أي: مشتهية له". [٢]

النوع الثاني: النفس اللوامة :

هي التي أقسم بها الله في قوله تعالى: ﴿**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ **[القيامة: ٢]** .

فاللوامة نفس متيقظة تقيّة خائفة متوجّسة، تندم بعد ارتكاب المعاصي والذنوب فتتلوم نفسها، تبرز فيها قوة الضمير فتحاسب نفسها أولاً بأوّل[٣] .

وهذه كريمة على الله، لذلك أقسم بها القرآن، ومن أحسن أقوال التفاسير عن النفس اللوامة قول الحسن البصري: " إنّ المؤمن والله ما نراه إلاّ يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وان الفاجر يمضي قُدُماً ما يعاتب نفسه" . [٤]

والنفس اللوامة كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة، يلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد إحساناً، ويلوم المسيء نفسه أن لا يكون رجع في إساءته .[٥]

روى ابن جرير الطبري بسنده عن سعيد بن جبير، قال: "قلت لابن عباس﴿ **وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ قال: هي النفس اللؤوم، وقال اخرون: بل معنى ذلك: أنها تلوم على ما فات وتندم ".[٦]

وقال القرطبي: " ومعنى﴿ **بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾، أي: بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكذا؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه... قال الحسن: هي والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن الإ يلوم نفسه: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه، وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لمَ فعلته،

---

(١) جامع البيان، للطبري، (١٦/ ١٤٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٩/٢١٠).

(٣) ينظر: علم النفس الإسلامي، ص (١٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨/٢٧٥) .

(٥) ينظر : بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، (٣/٢٢٤) .

(٦) جامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٤٩).

وعلى الخير لم لا تستكثر منه، وقيل: إنها ذات اللوم، وقيل: إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها، فعلى هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة".[١]

ويقول ابن عاشور: "والمراد نفوس المؤمنين، ووصف اللوامة مبالغة؛ لأنها تكثر لوم صاحبها على التقصير في التقوى والطاعة، وهذا اللوم هو المعبر عنه في الاصطلاح بالمحاسبة، ولومها يكون بتفكيرها وحديثها النفسي. قال الحسن: " ما يرى المؤمن الإ يلوم نفسه على ما فات ويندم على الشر لم فعله، وعلى الخير لم لا لم يستكثر منه" ، فهذه نفوس خيره حقيقة أن تشرف بالقسم بها وما كان يوم القيامة إلا لكرامتها"[٢]

فاللوم أسلوب تربوي ناجعٌ جداً في تربية النفس الإنسانية وتهذيبها، بل والعمل على خلق توازن نفسي يساعد النفس للعودة الى الطريق السوي، ومن هناك تكون قد بدأت تسير إلى القمة، وهي الوصول إلى الشعور بالأمان والطمأنينة المنشودة .

النوع الثالث : النفس المطمئنة :

وهي التي اطمأنت إلى خالفها، واطمأنت في بسط الرزق وقبضه وفي المنع والعطاء، وهي النفس المؤمنة التي استوعبت قدرة الله، وتبلور فيها الإيمان العميق والثقة بالغيب، لا يستفزها خوف ولا حزن؛ لأنها سكنت إلى الله واطمأنت بذكره وأنست بقربه فهي آمنة مطمئنة، تحسّ بالاستقرار النفسي، والصحة النفسية، والشعور الإيجابي بالسعادة، رضت بما أوتيتْ، ورضي الله عنها، فحُق لها أن يخاطبها رب العالمين بقوله: ﴿ **يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى** ﴾ **[الفجر: ٢٧–٣٠]** .[٣]

والنفس المطمئنة هي النفس التي تعيش في أمان واطمئنان الى وعد الله تبارك وتعالى، قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً في قول الملائكة لأوليائه يوم القيامة: ﴿ **يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ**

(١) الجامع لأحكام القران، للقرطبي، (٨٤/١٩).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٣٨/١٢– ٣٣٩) .

(٣) ينظر : علم النفس الاسلامي، ص (١٩) .

﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾، يعني بالمطمئنة: التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا من الكرامة في الآخرة، فصدّقت بذلك".[١]

وقال القرطبي: " والنفس المطمئنة: الساكنة الموقنة أيقنت أن الله ربها فأخبتت لذلك، قاله مجاهد وغيره، وقال ابن عباس: أي المطمئنة بثواب الله " . [٢]

إنّ القرآن الكريم هو الطريق الأقوم في معالجة النفس والرقي بها إلى أعلى المراتب، ولعل أروع ما حققه القرآن للنفس: هو أنّه رسم لها الطريق التي تجعلها نفساً مطمئنة آمنة ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله وحده.

ومن خلال هذا العرض نستطيع القول بان النفس متغيرة الأحوال، فتارة تأمر صاحبها بالسوء والهوى، وتارة تلومه على فعل ذلك، وتارة تكون مطمئنة آمنة مستقرة.

وإن تلك التغيرات تساعد الإنسان أن يصل بتلك النفس إلى أعلى المراتب وأرقاها، وهذا ما رحمة الله بعباده أن جعل النفس قابلة للتغير من حال إلى حال، فلو كانت ثابتة على حالة واحدة فلن يكون هناك تمييز بين المؤمن القوي والمؤمن الضعيف، كما أنه لن يكون هناك تمييز بين المؤمن والكافر؛ لأن النفس تحتاج إلى مجاهدة من صاحبها فبإمكانه أن يوصلها إلى الإيمان، كما أنه بإمكانه ان يغرقها في وحل الكفر والطغيان، وهنا يأتى دور المجاهدة، ويبرز الفرق؛ لتجزى كل نفس بما كسب.

المطلب الثالث: خصائص النفس في القرآن الكريم

لقد امتازت النفس الإنسانية بمميزات وخصائص ميزتها وجعلتها مستقلة بذاتها وكيانها ومن هذه الخصائص:

١. أنّ النفس مفطورة على معرفة الله سبحانه وتعالى .
٢. أنّ النفس تعرف الخير وتحرص عليه، وتعرف الشر وتجزع منه .
٣. الجحود والتمرد والمكابرة والعناد.
٤. التكليف.
٥. الشعور و الاحساس.
٦. الإبصار والإدراك للأمور.

---

(١) جامع البيان، للطبري (٤٢٢/٢٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٠ /٥٢).

٧. الشعور بالحاجات.

وغيرها من الخصائص المجبولة في النفس البشرية، كشدة الحرص والتكالب على جمع المال، والتسرع والعجلة، والخوف والرجاء، والشح والبخل.

المبحث الثاني: دراسة الحالة النفسية لسيدنا موسى –عليه السلام– في سورتي طه، والشعراء

المطلب الأول: دراسة الحالة النفسية لسينا موسى –عليه السلام– في سورة طه .

وردت قصة موسى –عليه السلام– في عدة سور من القرآن الكريم، ومنها سورة طه، وسأحاول أن أسلط الضوء على الحالة النفسية التي ذكرتها آيات هذه السورة عن سيدنا موسى –عليه السلام– والتي تمثلت بقوله تعالى : ﴿ **وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ** ﴾، وما بعدها من الآيات.

تبدأ قصة موسى –عليه السلام– في سورة طه من الآية التاسعة في قوله تعالى:﴿ **وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ** ﴾، إلى الآية ٩٨ بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًا**﴾.

في قوله تعالى: ﴿ **وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ** ﴾، تسلية للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– عمّا يلقى من الشدّة من مشركي قومه، وأن أمرهم لا يعدو أن يكون مثل أمر قوم فرعون في أنّ الله مهلكهم وناصر رسوله عليهم .[١]

وقوله تعالى: ﴿ **إِذۡ رَءَا نَارٗا** ﴾، وذلك أنّ موسى –عليه السلام– كان قد أضلّ الطريق لما سار بأهله من مدين قاصداً مِصْر، وكان في ليلة شاتية، فكان الأمر كما قال الله تعالى في الآيات التي بعدها، حيث قال لأهله حين رأى النار: ﴿ **فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ** ﴾ ،أي: شعلة من النار. [٢]،﴿ **أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى**﴾، أي: من يهديني .[٣]

وقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣** ﴾، وذلك أنه لما اجتمع على موسى برد الشتاء مع

(١) ينظر : جامع البيان، للطبري، (١٨/ ٢٧٥) .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٧٦/٥)، ومعالم التنزيل، للبغوي، (٢٥٦/٣)

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٧٦/٥)، والمحرر الوجيز، لابن عطية، (٣٨/٤).

ظلام الليل، وضلال الطريق كان في تكليم الله سبحانه وتعالى له طمأنينة، وزوال للخوف، حيث قال تعالى منادياً لموسى: ﴿ **إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ** ﴾، يعني: الذي يكلمك ويخاطبك.(١)

وفي ضمن ذلك تطمين لموسى –عليه السلام– حين خاطبه بصفة الربوبية وأنّه الذي بيده كل شي، **قال تعالى:** ﴿ **إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣** ﴾، أي: وأنا اخترتك أي للرسالة من بين جميع الناس الموجودين في زمانك، وفي هذا تكليف لموسى –عليه السلام– بحمل الرسالة وأدائها.(٢)

قوله تعالى: ﴿ **فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ** ﴾، أي: فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعه واعمل به(٣)، فإنه حقيقٌ بذلك؛ لأنه أصلُ الدين ومبدأه .(٤)

ثم ذكر مضمون وحيه **بقوله:** ﴿ **إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ** ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا** ﴾، أي: لا أطلع عليها أحداً غيري . (٥)

وقوله: ﴿ **لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ**﴾، أي: من الخير والشر.(٦)

وكثيراً ما يقرن الله سبحانه وتعالى بين الإيمان به، والإيمان باليوم الآخر؛ لعظم هذين الركنين؛ ولأن في اليوم الآخر يكون فيه الجزاء على إجابة الناس لرسلهم في دعوتم للإيمان بالله.

وفي ضمن ذكر الساعة ترغيب لموسى–عليه السلام– بثواب حمل الرسالة وأدائها وتهوين لما قد يواجهه من صعوبات في ذلك، وفي ضمنه أيضاً ترهيب لموسى–عليه السلام– من النكول عن ذلك، وقال بعد ذلك: ﴿**فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ**﴾ ، أي: فتهلك.(٧)

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ٢٧٦).

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٧٧/٥)، ومفاتيح الغيب، للرازي، (١٩/٢٢)، وروح البيان، للخلوتي، (٣٧١/٥)، والتفسير المنير، للزحيلي (١٨٩/١٦) .

(٣) ينظر : جامع البيان، للطبري، (٢٨٣/١٨).

(٤) ينظر : تفسير السعدي (٥٠٣/١).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٧٧/٥).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٧٨/٥)، وجامع البيان ، للطبري، (١٨/ ٢٨٥، ٢٩١)

(٧) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٣٩/٤ –٤٠)، والكشف والبيان، للثعلبي، (٢٤١/٦).

وقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾،قال بعض المفسرين: إنما قال ذلك على سبيل الإيناس له، وقيل: إنما قال له ذلك على وجه التقرير، أي: أمَّا هذه التي في يمينك، عصاك التي تعرفها فسترى ما نصنع بها الآن. (١)

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾، فولى موسىٰ –عليه السلام– مدبراً فنودي أن يا موسى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ﴾.(٢)

﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾، فيه تطمين من الله تعالى لموسى–عليه السلام– بأنه سيردها إلى عصا كما كانت، ثم أعطاه الله تعالى آيةً خرى، وذلك في **قوله تعالى:** ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾، وبعدما أراه الآيات الكبرى الدالة على وحدانية الله تعالى، وصدق رسالة موسى– عليه السلام– أمره بالذهاب إلى فرعون الذي خرج فاراً منه .(٣)

فسأل موسى –عليه السلام– ربّه؛ ليعينه على أداء الرسالة، ويثبته ويزيل المخاوف، فإنه قد أمره بأمر عظيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم وأشدهم كفراً، وأكثرهم جنوداً، وقد كان موسى–عليه السلام– قتل منهم نفساً فخافهم أن يقتلوه .(٤)

فقال: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾، أي: وسعه للحق حتى لا أخاف غيرك.(٥)

وقال: ﴿ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴾، يسر لي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة. (٦)

وقوله: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾، أي: أحلل العقدة كي يفقهوا كلامي، فسأل موسى–عليه السلام– ربّه أن يثبت قلبه، ويطلق لسانه .(١)

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ٢٧٨، ٢٧٩) .

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، (١٨/ ٢٩٥–٢٩٦)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير،(٢٧٩/٥)، وتفسير الدر المنثور، (٥٦٥/٥).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير،(٢٨٠/٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٨٢/٥).

(٥) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٢٦٠/٣) .

(٦) المصدر نفسه .

وقوله: ﴿ **وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠** ﴾، ثم سأل موسى-عليه السلام- ربّه أن يرسل هارون-عليه السلام- معه ليعينه على أداء الرسالة، وذلك في **قوله** : ﴿**ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي**﴾، **وقوله:** ﴿**وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي**﴾، أي: واجعله نبياً مثلما جعلتني نبياً [٢]،﴿ **كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥**﴾.

فطمئنه الله تعالى بأنه أتاه جميع ما سأله، وذلك في **قوله تعالى:** ﴿**قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ**﴾.

ثم أخذ في تعداد نعمه عليه وتذكيره بنعمه السابقة، واتيان السؤال منةٌ من الله-عزّ وجل- فقرن إليها -عزّ وجل- قديم منته عنده على جهة التوقيف عليها؛ ليعظُمَ اجتهاده، وتقوى بصيرته.[٣]

فَيَسْتَدِلْ بسالف النعم على ما يستقبل، وأنّ الله سبحانه وتعالى كما أنعم عليه وحفظه فيما مضى فهو أهلٌ سبحانه وتعالى لأن يحفظه فيما بقي، **فقال تعالى:** ﴿ **وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰٓ عَيۡنِيٓ ٣٩**﴾.

وقوله: ﴿ **وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي** ﴾، أي: أُحِبُّكَ، وأُحَبِبُكَ إلى خلقي.

وقوله: ﴿ **وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰٓ عَيۡنِيٓ** ﴾، أي: لتُربى بمَرأى ومنظر منّي .[٤]

وقوله: ﴿ **إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ**﴾، وذلك أنّه كان -عليه السلام- قد قتل قبطياً كافراً.

قال تعالى: ﴿ **فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ** ﴾، وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله، ففر منهم هارباً حتى ورد ماء مدين .

---

(١) معالم التنزيل، للبغوي، (٣/٢٦٠) .

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، (١٨/٣٠١).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، (٤/٤٣).

(٤) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٣/٢٦١)، وزاد المسير، لابن الجوزي،(٣/١٥١) .

وقوله: ﴿ **وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ** ﴾، وذلك أنّه قد وقع في محنة بعد محنة، وكلما وقع في محنة خلّصه الله منها .[١]

وقوله: ﴿ **فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ**﴾، أي: على القدر الذي قدرت لك أنك تجيء فيه.[٢]

وقوله﴿ ﴿**وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾، أي: اصطنعتك واجتبيتك رسولاً لنفسي، أي: كما أريد وأشاء.[٣]

وقوله : ﴿ **ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي** ﴾، ولا تنيا، أي: ولا تضعفا ولا تقصرى في ذكري. [٤]

والمراد أنّهما لا يفتران في ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون؛ ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه، وقوة وسلطانا .[٥]

ثم أمرهما الله سبحانه وتعالى بالذهاب إلى فرعون **بقوله:** ﴿ **ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾**﴾،وهذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين.[٦]

فحين ذاك خاف موسى وهارون من سطوة فرعون وطغيانه، **فقالا:** ﴿ **رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ** ﴾،أي: يعاجلنا بالعبودية قبل أن نُبلِغَهُ كلامك .[٧]

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ٢٨٤) ، ومعالم التنزيل، للبغوي، (٢٦٢/٣).

(٢) ينظر: معالم التنزيل ، للبغوي، (٢٦٢/٣).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٩٤/٥) .

(٤) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٢٦٢/٣).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٩٤/٥).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٩٤/٥).

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣١٤/١٨).

فطمئنهما الله سبحانه وتعالى بذكر ما يزيل خوفهما، **فقال:** ﴿ **لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ**﴾،أي: إنّني معكما أعينكما عليه، وأسمع ما يجري بينكم وأرى، وأسمع دعائكما فأجيبه، وأرى ما يراد بكما فامنعه . (١)

ثم أمرهما الله سبحانه وتعالى بأن يأتيا فرعون فيبلغاه رسالته، ويدعواه لتوحيده ودينه، وأن يُرسل معهما بني إسرائيل، وأمرهما أن يأتياه بما يبرهن على صدق ما جاء به، وذلك **بقوله** : ﴿ **قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَ** ﴾. .

ثم أمرهما بأن يرغباه بالثواب، وذلك **بقوله:** ﴿ **وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ**﴾، أي: السلامة لمن اتبع هدى الله، ويرهباه من العقاب وذلك **بقوله:** ﴿**إِنَّا قَدۡ أُوحِىَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ (٢) .

فذهبا وبلغا كما أمر الله سبحانه وتعالى، ولم يثنهم خوفهما عن البلاغ، وذلك بما طمئنهم الله سبحانه وتعالى فيما تقدم ذكره .

فقال لهما فرعون: ﴿ **فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ** ﴾، منكراً وجود الله سبحانه وتعالى، **فقال له موسى:** ﴿ **رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾، أتاه بآية عظيمة تدل على وجود الله سبحانه، وهو أنّ الله تعالى هو الذي أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه وهيأ كل شي على ذلك، وقيل: أعطى كل شي نظير خلقه في الصورة والهيئة، أي: أعطى كل شيء زوجه، وقيل: أعطى كل شي صورته، وهي خلقه الذى خلقه به ثم هداه لما يصلحه، وفي الآية أقوالٌ أخرى غير ما تقدم.(٣)

ثم إنّ فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كما تقول، لم يعبدوا ربك، بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال: ﴿ **قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى** ﴾(٤) .

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري،(٣١٥/١٨)، ومعالم التنزيل، للبغوي،(٢٦٣/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري،(٣١٥/١٨).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري،(٣١٧،٣١٦/١٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٩٨/٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٩٨/٥).

ثم أخذ موسى يعدد نعم الله سبحانه وتعالى على عباده، وآياته في خلقه على وحدانيته واستحقاقه لإفراده بالعبادة، **فقال:** ﴿**ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ۝٥٥**﴾، ثم **قال تبارك وتعالى:** ﴿**وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ**﴾، أي: قامت على فرعون الحجج، والآيات، والدلالات، وعاين ذلك، فكذّب بها وأباها عناداً وكفراً.(١)

وقال فرعون لموسى: ﴿ **أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ**﴾، يعني: أنّه قال لموسى لما أراه الآية الكبرى، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً، ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء، **فقال فرعون:** هذا سحرٌ جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس ﴿**فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى**﴾، أي: في مكان معيّن، ووقت معيّن .(٢)

فأجابه موسى–عليه السلام– جواب الواثق بنصر الله المطمئن لموعود الله سبحانه وتعالى، **قال:** ﴿ **مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى**﴾، أي: ضحوة من النهار؛ ليكون أظهر وأجلى، وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم واضح بيّن ليس فيه خفاء؛ ولهذا لم يقل ليلاً .(٣)

قوله: ﴿**فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ**﴾، أي: للميقات المعلوم، وهو يوم الزينة، واجتمع الناس، فوعظ موسى –عليه السلام– اولئك السحرة وحذرهم عقاب الله سبحانه وتعالى **بقوله:** ﴿ **وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ**﴾، **وفي قوله:** ﴿ **لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا** ﴾، كشف لزيفهم بتخييلهم للناس أشياء لاحقائق لها، فوقع قول موسى موقعاً في قلوب السحرة حتى أنّهم تشاجروا فيما بينهم، فقائلٌ يقول: إنّما هو كلام نبي، وقائل يقول: بل هو ساحر.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري،(٣٢٢/١٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٩٩/٥) .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٩٩/٥– ٣٠٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠/٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠١/٥)، وجامع البيان، للطبري، (٣٢٥/١٨–٣٢٧).

وقوله: ﴿ **قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾**﴾، في هذه الآيات بيان أنّ السحرة ذهبوا مذهب كبيرهم فرعون في اتهام موسى وأخيه بالسحر، وأنّهما يريدان الاستحواذ على مصر، واجتمعوا على مغالبة موسى-عليه السلام- طمعاً في العطاء الذي وعدهم إياه فرعون [١].

فقالوا : ﴿ **يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ**﴾، أي: خيروهم موهمين أنّهم على جزمٍ من ظهورهم عليه بأي حالة كانت .[٢]

فقال موسى -عليه السلام-:﴿ **بَلۡ أَلۡقُواْ** ﴾، أي: أنتم أولاً؛ ليُرى ماذا يصنعون من السحر، وليظهر الناس جلية أمرهم. [٣]

فألقوها: ﴿ **فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾** ﴾، أي: خاف على الناس أن يفتتنوا بسحرهم، ويغتروا بهم قبل أن يُلقي ما في يمينه [٤]، وقيل: إنّه خوف الطبع البشري .[٥]

فطمأنه الله سبحانه وتعالى، وأزال مخاوفه **بقوله:** ﴿**قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ**﴾، أي: على هؤلاء السحرة، وعلى فرعون وجنده، والقاهر لهم. [٦]

قوله: ﴿**وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۚ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ**﴾، فألقى عصاه، فتحولت ثعباناً عظيماً، وجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئاً إلاّ تلقفته وابتلعته، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عياناً نهاراً، فقامت المعجزة، واتضح البرهان، وبطل ما كانوا يعملون . [٧]

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٢/٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي، ص(٥٠٨) .

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٢/٥).

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٢/٥).

(٥) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي، (١٦٧/٣).

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣٣٧/١٨).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٢/٥).

قوله: ﴿**فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ**﴾، فلمّا عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى –عليه السلام– ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حقٌ لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون، فعند ذلك وقعوا سجداً لله: ﴿ **قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ** ﴾.(١)

ولما رأى فرعون المعجزة الباهرة، والآية العظيمة، ورأى إيمان السحرة بموسى وهرون–عليهما السلام– إزداد طغياناً وتجبراً، وقال قولاً يعلم إنه والسحرة والناس أنّه كذب، **فقال:** ﴿ **إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ** ﴾، ثم أخذ يتهددهم، **فقال:** ﴿ **فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ**﴾.(٢)

فلمّا صال عليهم بذلك، وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله –عزّ وجلّ– ﴿**قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ**﴾، أي: إصنع ما شئت فإن لك تسلط في هذه الدار وهي دار زوال، ونحن قد رغبنا في دار القرار .(٣)

ثم عللوا إيمانهم **بقولهم:** ﴿**إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ**﴾، أي: خيراً لنا منك، وأبقى: أي: أدوم ثواباً مما كنت وعدتنا، وقيل: أبقى منك عذاباً إن عُصي.(٤)

ثم لم يمنعهم تخويف فرعون لهم من أن يدعوه إلى ما آمنوا به، ويعضوه ترهيباً وترغيباً، **فقالوا:** ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ** ﴾ **إلى قوله:** ﴿**وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ**﴾.

ثم أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يسير بمن معه من بني اسرائيل ليلاً، وذلك أن فرعون عضب غضباً شديداً، وأرسل في المدائن من يجمع له الجند من بلدانه؛ ليستأصل موسى ومن معه، فأمر الله موسى أن يسير بمن معه ليلاً .

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٣/٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٤/٥).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٢٦٨/٣، ٢٦٩)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٤/٥–٣٠٥).

وسيأتي الكلام في سورة الشعراء على هذا المقام، وذلك أنّ فرعون وجنوده اتبعوهم مشرقين عند طلوع الشمس: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ **[الشعراء: ٦١-٦٣]**.

وقال ها هنا في سورة طه: ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِى ٱلْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَٰفُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَىٰ﴾ ، ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكاً﴾، أي: من فرعون، ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾، يعني: من البحر أن يغرق قومك. (١).

فصدق الله وعده لموسى -عليه السلام- فأغرق فرعون ومن معه، **قال تعالى:** ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

وذكّر الله تعالى بني إسرائيل بنعمه في إنجائهم من عدوهم، ومواعدة موسى جانب الطور الأيمن، وغير ذلك من النعم، وحذرهم من مخالفة أمره، وخوّفهم غضبه وعقابه، ودعاهم للتوبة وذلك **بقوله تعالى:** ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

ثم بيّن الله سبحانه وتعالى قصة مواعدته لموسى-عليه السلام- وأنّ موسى-عليه السلام- بادر إلى الطور، واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون، **فقال تعالى:** ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾، أي: لتزداد عنّي رضاً، والمعنى: إن الذي عجّلني إليك ياربّ: هو طلبُ قربك، والمسارعةُ في رضاك، والشوق إليك .(٢)

وأخبر تعالى نبيّه موسى بما حدث بعده لبني إسرائيل من عبادتهم العجل الذي صنعه لهم السامري، **قال:** ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾، أي: ابتليناهم بعيادة العجل من بعد فراقك إياهم.(٣)

فأخبر الله سبحانه وتعالى عن حال موسى بعدما أخبره بخبر قومه، وأنّه رجع إليهم في غاية الغضب، وهو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم، وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم، وهم مع ذلك قد

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣٤٤/١٨)، ومعالم التنزيل، للبغوي، (٢٧٠/٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٧/٥)، وروح المعاني، للألوسي، (٥٤٧/٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٠٩/٥)، وتفسير السعدي، ص (٥١١).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣٤٩/١٨).

عبدوا غير الله ، والأسف: شدة الغضب، وقيل: الحزن، يعني: أنّه رجع حزيناً على ما صنع قومه من بعده، **فقال:** ﴿ **يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي** ﴾.

قوله: ﴿ **قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًا** ﴾، أي: ما وعدكم على لساني كلّ خيرٍ في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿ **أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ** ﴾، أي: في انتظار ما وعدكم الله، ونسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من قِدَمْ: ﴿ **أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي** ﴾.[1]

فأجابوا بني إسرائيل **بقولهم:** ﴿ **مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا** ﴾، أي: عن اختيارنا، ثم شرعوا يعتذرون بالعذر البارد، يخبرون عن تورعهم عما كان بأيديهم من حُليّ القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر، **فقالوا:** ﴿ **وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا** ﴾، أي: ألقيناها عنَّا، وذلك أنّهم ألقوها في حفرةٍ فيها نار، وألقى السامري القبضة التي أخذها من أثر الرسول، ولهذا **قالوا** : ﴿ **فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ** ﴾. [2]

قال تعالى: ﴿ **فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ** ﴾، أي: فأخرج لهم السامري مما قذفوه ومما ألقاه عجلاً جسدا له خوار، وهو صوت البقر، وقيل: أنّه صاغه صياغة، ثم ألقى القبضة من أثر الرسول في فمه فخار.[3]

فقال قوم موسى: ﴿ **هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ** ﴾، أي: هذا معبودكم ومعبود موسى، فنسي، أي: نسيه هاهنا وذهب يطلبه، وقيل: نسي أن يذكركم أنّ هذا إلهكم.[4]

قال تعالى رداً عليهم، وتقريعاً لهم، وبياناً لفضيحتهم وسخافة عقولهم: ﴿**أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا** ﴾، أي: لا يجيبهم إذا سألوه، ﴿ **وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا** ﴾، أي: في دنياهم ولا في أخراهم. [1]

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣٥٠/١٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣١٠/٥).

(٢) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٢٧٢،٢٧١/٣) ، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣١٠/٥) .

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣٥٤/١٨ ، ٣٥٥).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣٥٦/١٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣١١/٥) .

قوله تعالى:﴿ ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾، أي: من قبل رجوع موسى: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾، أي: ابتليتم بالعجل: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى ﴾، أي: على ديني في عبادة الله: ﴿ وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى﴾،أي: في ترك عبادة العجل، فخالف بنو إسرائيل هارون بذلك، وحاربوه وكادوا يقتلوه، **وقالوا:** ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾، أي: لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه.(٢)

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى ما دار بين موسى وهارون حين رجع إلى قومه، حيث **قال موسى لائماً له:** ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾، أي: ما منعك أن تتبعني فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع، فأجابه هارون –عليه السلام– مترفعاً له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه؛ لأن ذكر الأم ها هنا أرقُ وأبلغ في الحنوِ والعطف، ولهذا **قال:**﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾، أي: إنّي خشيت أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول لي: لِمَ تركتهم وحدهم وفرّقت بينهم، ولم تَرعَ ما أمرتك به فيهم. (٣)

ثم توجّه موسى –عليه السلام– بالكلام مع السامري، **قائلاً له:** ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾، أي: ما حملك على ما صنعت، **قال:** ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾، أي: رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾، أي: من تحت حافر فرس جبريل: ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾، أي: ألقيتها مع من ألقى من الحلي: ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾، أي: حسنته، وأعجلها إذ ذاك .

فقال له موسى: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾،أي: كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه، فعقوبتك في الدنيا ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾، أي: لا تُماس الناس ولا يماسونك، ثم ذكر له عقوبة الآخرة، **بقوله:** ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدا لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾،أي: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾،أي: انظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته، لنحرّقنّه بالنار، ثم لننسفن رماده في البحر نسفاً، ثم وعض موسى –عليه السلام– قومه مبيناً لهم أنّه لا يستحق العبادة الا الله، ولا تنبغي العبادة إلاّ له،

---

(١) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٢٧٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣١١/٥) .

(٢) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٢٧٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣١٢/٥).

(٣) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٢٧٢،٢٧٣/٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣١٢/٥) .

فقال: ﴿ **إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡما** ﴾، أي: ليس هذا العجل إلهكم، إنما إلهكم الله الذي لا يستحق العبادة إلاّ هو، وهو عالمٌ بكلّ شي .[١]

المطلب الثاني: دراسة الحالة النفسية لسيدنا موسى –عليه السلام– في سورة الشعراء

وردت قصة موسى–عليه السلام– في عدة سور من القرآن الكريم ومنها سورة الشعراء، وسأحاول أن أسلط الضوء على الحالة النفسية التي ذكرتها آيات هذه السورة عن سيدنا موسى –عليه السلام– والتي تمثلت **بقوله تعالى:** ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ**﴾، وما بعدها من الآيات، وقد ذكرت الآيات الكريمة الحالة النفسية لسيدنا موسى –عليه السلام– التي عبر عنها بخوفه من عدة أمور منها : تكذيبهُ، وضيق الصدر، وعدم انطلاق اللسان، وتَذَكُرْ ذنبه في قتل القبطي خطأ ، وخوفه من قتلهم له .

قول الله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ**﴾ ، إلى **قوله تعالى:** ﴿ **فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ**﴾، وذلك أنّ موسى –عليه السلام– خاف من تكذيبهم إياه، وأن يضيق صدره بذلك، ولا ينطلق لسانه للعقدة التي كانت بلسانه، وخاف أن يقتلوه بسبب قتله القبطي خطأ.[٢]

وكان موسى قد طلب من الله سبحانه وتعالى أن يرسل أخاه هارون–عليهما السلام– معه؛ ليعينه على أداء الرسالة، وليكون أقوى للبلاغ، وهو قد أُمِرَ أن يأتي قوم فرعون الظالمين ، ولكن الله سبحانه وتعالى طمئنه **بقوله:** ﴿ **كَلَّا** ﴾، يعني: لن يقتلوك؛ لأني لا أسلِّطهم عليك، فأستجاب الله دعاءه، **وقال:** ﴿ **فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ** ﴾.[٣]

ثم قال تعالى: ﴿ **إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ** ﴾، أي: إنّني معكما بحفظي، وكلاءتي، ونصري، وتأييدي.[٤]

---

(١) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي،(٢٧٣/٣،٢٧٤)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣١٣/٥، ٣١٤) .

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٢٣٧/١٩ –٢٣٨).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣٣٨/١٩)، والوسيط، للواحدي، (٣٥١/٣)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٣٣٦/٣)، وصفوة التفاسير، (٣٤٥/٢).

(٤) ينظر: لطائف الإشارات، للقشيري، (٨/٣)، والوجيز، للواحدي، (٧٨٧/١)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٣٧/٦)، وصفوة التفاسير، (٣٤٥/٢).

وفي هذا رفع لما وقع من الخوف في نفس موسى -عليه السلام- وزيادة في الطمأنية لموسى وهارون بذكر معية الله لهما -عليهما السلام- .

فاطمئن موسى -عليه السلام- لأمر ربّه، وزالت عنه المخاوف وذهب موسى -عليه السلام- إلى فرعون فبلّغ أمرَ رَبّه بقوة ولم تثنه المخاوف عن ذلك، حتى إنّ فرعون قد هدده بذكر قتله للنفس، وذلك **بقوله:** ﴿ **وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾، فأجابه موسى -عليه السلام- بجواب القوي غير الخائف، **فقال:** ﴿ **فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾**﴾، أي: أن الحال الأول، وهو قتله للقبطي انفصل، وجاء أمرٌ آخر، فقد أرسلني الله إليك، فإن أطعته سلمت، وإن خالفته هلكت .[١]

ولما لم يجد حال التخويف، حاد فرعون إلى حال الاستخفاف، **فقال:** ﴿ **وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾، فأجابه موسى -عليه السلام- **وقال:** ﴿ **رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**﴾، **قال فرعون:** ﴿ **أَلَا تَسْتَمِعُونَ** ﴾، أي: ألا تعجبون لما يقول موسى بزعمة أنّ لكم إلهاً غيري، يعني يستخف بقول موسى -عليه السلام-.[٢]

فلم يثنِ موسى -عليه السلام- ذلك الاستخفاف، بل أصرّ على اعتقاده، وتبليغه أمر ربّه، وزاد في الحجة، **فقال:** ﴿ **رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ**﴾، أي: خالقكم وخالق آبائكم الأولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه، - يشير إلى بطلان ربوبية فرعون التي يزعمها-.[٣]

فلمّا بطلت حجة فرعون، رمى موسى -عليه السلام- بالجنون، **بقوله:** ﴿ **إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾، فلم يثن موسى -عليه عليه السلام- ذلك، بل زاد في الإصرار والحجة، **فقال:** ﴿ **رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، وهي حجة واضحة لكل ذي عقل، فأنّ الذي جعل المشرق مشرقاً تطلع منه الكواكب، والمغرب مغرباً تغرب منه الكواكب، هو الذي يستحق أن يكون رباً وإلاهاً، وهذا ظاهرٌ لكل ذي عقل، وهذا قريبٌ من حجة إبراهيم -عليه السلام-

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٣٧/٦-١٣٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، (٢٢٩/٤)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٣٨/٦) .

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٣٨/٦)، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، (٤/ ١٣٠) .

حين حاجّهُ الكافر في ربّه، **فقال له إبراهيم:** ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .(١)

وفي قوله: ﴿ **رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ** ﴾، عموم ربوبية الله للمشرق والمغرب، ولم يكن لفرعون إلا ملك مصر، فكان في ذلك الحجة الواضحة على بطلان ربوبية فرعون.(٢)

ولمّا قامت على فرعون الحجة بالبيان والعقل، عَدَلَ إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه، **فقال:** ﴿ **لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ**﴾، ولم يَثنِ هذا التخويف موسى –عليه السلام– بل زاد في الحجة، **فقال:** ﴿ **أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ**﴾. (٣)

وما زاد ذلك فرعون إلاّ طغياناً وتكبراً، فاستنفر سحرته من المدائن، وجمعهم ظناً منه أنّه يغلب موسى –عليه السلام–، فلمّا جاء موسى –عليه السلام– إلى الموعد الذي وعده فرعون، فلم يثن موسى –عليه السلام– جمع السحرة مع كثرتهم، بل **قال لهم بكل يقين:** ﴿ **أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ**﴾، أي: أنتم أولاً قبلي، والحكمة في هذا –والله أعلم – ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغ من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس. وكذا كان(٤)، وفي هذا دليل على قوة موسى –عليه السلام– وعظم يقينه بالله سبحانه وتعالى.

فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر، وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من غير أصل، خرّوا لوجوههم سجدا لله، مذعنين له بالطاعة، مقرّين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحقّ، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل، **قائلين:** ﴿**ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ الذي دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون وملئه، ﴿ **رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ** ﴾. (٥)

---

(١) ينظر : الكشاف، للزمخشري، (٣٠٨/٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٣٩/٦).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، (٣٤٤/١٩ ، ٣٤٥)، والمحرر الوجيز، لابن عطية، (٢٢٩/٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٣٩/٦).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٥٦/٣) .

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري، (١٩ / ٣٤٨).

وسرعان ما تغير حَالُهم من حال الجبروت والعزة بالإثم إلى حال الذل لله سبحانه وتعالى والانقياد لدينه.

ولما توعدهم فرعون بالقتل، والتصليب لمّا آمنوا بموسى -عليه السلام- لم يرهبهم ذلك، وإنّما ازدادوا يقيناً، **وقالوا:** ﴿ **لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ**﴾، أي: المرجع إلى الله، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ثم إنّ فرعون جمع جنده طلباً لإهلاك موسى ومن معه، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى -عليه السلام- أن يسري بعباده ليلاً، فلمّا ترائى الجمعان ووصل أصحاب موسى إلى البحر، **قالوا:** ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾، ظناً منهم أنهم قد أُحيطَ بهم ، فأجابهم موسى-عليه السلام- إجابة المؤمن الراسخ، **فقال:** ﴿ **كَلَّا** ﴾، أي: لا يصلُ إليكم شيءٌ مما تحذرون، فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد.(١)

ثم إن الله سبحانه وتعالى أنجى موسى ومن معه، وأغرق فرعون ومن معه بآية من آيات الله العظيمة، وهي: فَلْقْ البحر، وكانت الغلبة لموسى -عليه السلام-.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ١٤٣، ١٤٤).

الخاتمة والنتائج:

من خلال ما تقدم من دراستي لهذا البحث انتهيت إلى عدة أمور:

١. أنّ كلام الله سبحانه وتعالى ووحيه فيه طمأنينة للقلوب، كما قال تعالى: ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ** ﴾ **[الرعد: ٢٨]**، وهو هدىً وشفاء: ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدى وَشِفَآء** ﴾ **[فصلت: ٤٤]** ، ورحمة، وفيه قوة من كل ضعف، وأمان من كل خوف.

٢. آيات الله سبحانه وتعالى آيات شرعية وكونية، وفي كل منهما ثبات وقوة للإنسان، فالشرعية، هي: وحيه وكلامه، والكونية: ما يجريه الله سبحانه وتعالى من آيات على أيدي رسله، كانقلاب عصى موسى إلى ثعبان مبين، وفي كلٍّ منهما هدىً، وثباتٌ، وقوةٌ، وتأثيرٌ على النفوس.

٣. الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى، عونٌ للإنسان على أمره، وسبب لمزيد التوفيق له من ربّه.

٤. الإنسان مهما يبلغ الخوف منه مبلغاً، فإنّه بتوكله على الله سبحانه وتعالى، وتصديقه بموعوده ، لا يبقى معه شيءٌ من ذلك.

٥. إذا قَوي القلب بالله زالت المخاوف، وسَهُلَ انقياد الجوارح لأمر الله سبحانه وتعالى، وهان على النفس كلّ صعب.

٦. إذا قَوي القلب بالله لم يذعن لتهديد الخصوم مهما بلغ العدو من سطوة، ولم تأخذه لومة لائم .

٧. الثقة بالله سبحانه وتعالى، والتصديق بموعوده سبب للثبات مهما بلغت الشدة بالإنسان.

٨. اختيار الرفيق الصالح عونٌ على تذليل الصعاب في طريق العبودية لله تعالى.

٩. إمداد القوة من خلال الاخوة الصالحة في نشر الدعوة وإحقاق الحق.

١٠. ثبات أصحاب المبادئ على مبادئهم وان كانوا قلة رغم ما يواجهونه من قوى استكبار عالمي.

١١. تذكر نعم الله تعالى دافعٌ للانقياد لله سبحانه وتعالى.

١٢. ينبغي للإنسان أن يسأل ربه بأن يشرح له صدره؛ لأن القلب إذا استقام استقامت الجوارح، وكذلك ينبغي للإنسان أن يسأل ربّه المعونة والتيسير؛ إذ لا حول ولا قوة إلا بالله.

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

١.البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، (ت: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، (د.ط-١٤١٩هـ) .

٢.بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: يسري السيد أحمد ورفيقه، دار ابن الجوزي- الرياض، (ط ١ - ١٤٢٧هـ) .

٣.تاج العروس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية- القاهرة، (د.ط-١٩٦٥م).

٤.التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، (د.ط- ١٩٨٤ هـ) .

٥. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٢-١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، (ط٢- ١٤١٨ هـ).

٧. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط١- ٢٠٠١م) .

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(تفسير السعدي) : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط١-١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م).

٩. جامع البيان في تأويل القرآن(تفسير الطبري) : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط١-١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

١٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، (د.ط–د.ت) .

١١. روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء، (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت، (د.ط–د.ت)

١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(تفسير الألوسي): شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١– ١٤١٥ هـ) .

١٣. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ط– د.ت).

١٤. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط١– ١٤٢٢ هـ).

١٥. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة– القاهرة،(ط١ – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).

١٦. علم النفس الاسلامي: معروف زريق ، دار المعرفة – دمشق،(ط١–١٤٠٨هـ–١٩٨٩م).

١٧. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت :٨١٧هـ) مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (ط٨– ١٤٢٦ هـ– ٢٠٠٥ م).

١٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري): أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط٣– ١٤٠٧ هـ).

١٩. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تفسير الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (ط١– ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م).

٢٠. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، (ط٣– ١٤١٤ هـ).

٢١. لطائف الاشارات(تفسير القشيري): عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (ت: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، (ط٣–د.ت) .

٢٢. مجمل اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط٢– ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م).

٢٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية): أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، (ط١– ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).

٢٤. معالم التنزيل (تفسير البغوي): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، (ت : ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط١– ١٤٢٠ هـ) .

٢٥. مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير (تفسير الرازي) : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط٣–١٤٢٠هـ) .

٢٦. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: ٣٩٥هـ)،المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط– ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

٢٧. الموسوعة الإسلامية العامة: إشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق ، القاهرة – وزارة الأوقاف، (د.ط –١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م).

٢٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – الدار الشامية – دمشق– بيروت، (ط١– ١٤١٥ هـ).

٢٩. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط١– ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م).